

مناسبة تتيج مهرور الفاروق

## رسوم البيعة والتتويج

في عهد الدولة الفاطمية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

يلغ صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر رشده الدستورى فى الثامن والعشرين من شهر يولية القادم . وقد أثبتت هذه المناسبة مسألة الرسوم والاجراءات التى يحسن اتباعها لاعلان هذا الحادث السعيد ، وافتتاح العهد الجديد بما يليق به من الروعة الملوكية والدستورية .

ومن المقرر أن الدول المللكية العريقة تتبع فى مثل هذه المناسبة رسومها وتقاليدها الملوكية الخاصة ؛ وقد رأينا كيف أحيطت حفلات التتويج البريطانى بكثير من الرسوم الملوكية القديمة التى يرجع بعضها إلى عدة قرون ؛ ولكن يلاحظ هنا أن الملوكية الانكليزية لبثت منذ قيامها حتى يومنا متصلة الحلقات ، يحتفظ العرش بمعظم رسومها وتقاليدها عصرا بعد عصر . أما الملوكية المصرية فقد انقطع سيرها وعفت رسومها منذ الفتح العثمانى زهاء أربعة قرون حتى أعلن المنفور له الملك فؤاد الأول ملكا على مصر فى سنة ١٩٢٢

ومع ذلك فإن للملوكية المصرية الاسلامية رسوما وتقاليد عريقة انتهت إلينا منها صور وذكريات باهرة . وقد عرفت مصر الاسلامية هذه الرسوم الملوكية الخاصة منذ استحالت من ولاية خلافة إلى وحدة سياسية مستقلة فى ظل الدولتين الطولونية والاختشيدية اللتين كانتا بالرغم من ولائهما الاسمى للخلافة العباسية تتمتعان ببعض الرسوم والتقاليد الملوكية الخاصة ، مثل صدور البيعة للأمير ، وتجليه بألقاب الامارة وأحيانا بالألقاب الملوكية مثل اتخاذ محمد بن طنج لقب الاختشيد ( أى أمير الأمراء ) ، أو تمتعه ببعض الامتيازات الملوكية السياسية ، كما فعل الاختشيد حينما اتصل بقبصر قسطنطينية

مباشرة فى المكاتب الدبلوماسية المتعلقة بمصر وغير ذلك ؛ وثانيا حينما غدت مصر خلافة أو دولة مستقلة كاملة السيادة فى ظل الدول الاسلامية المتعاقبة

وقد عرفت الملوكية المصرية رسومها وتقاليدها الراسخة فى ظل الدولة الفاطمية : وكانت هذه الدولة القوية تنجح إلى البهاء والفخامة فى جميع رسومها وتقاليدها . وكانت تولية الخليفة الفاطمى تحاط بطائفة من الرسوم والمواكب الباذخة ؛ ولما قدم المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ ، بعد أن افتتحها قائده جوهر الصقل قبل ذلك بأربعة أعوام ( سنة ٣٥٨ هـ ) لم ترتب لإجراءات خاصة لاغلانته خليفة أو ملكا على مصر ، لأن المصريين ارتضوه على يدزعمائهم وأعيانهم خليفة وملكاً عليهم عند الفتح حينما قدموا خضوعهم لثابته ومثله جوهر ، وقطع جوهر الدعوة العباسية ، وبدأت الدعوة للخليفة الفاطمى ؛ بيد أنه حينما وصل المعز إلى الاسكندرية فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ ، استقبله أعيان مصر وعلى رأسهم قاضيا الأكبر وجددوا له مراسيم الخضوع والبيعة ، وقصد المعز بعد ذلك إلى القاهرة ونزل بالقصر ، وبدأ عهده فى الحكم والولاية فى اليوم الخامس عشر من رمضان ، إذ جلس بالقصر على عرشه الذهبى الذى أعده له جوهر فى الأيوان الجديد ، وأذن بدخول الأشراف ثم الأولياء وسائر وجوه الناس ، وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدمهم إليه فوجا بعد فوج فيأخذون له البيعة والعهد ، وعلى هذا النحو نظمت مراسيم التتويج لأول خليفة فاطمى بمصر

ومنذ عهد العزيز بالله ولد المعز لدين الله تتخذ رسوم التتويج الفاطمية صورها الباذخة ، وكانت هذه الرسوم تجري أولا فى القصر الفاطمى فى الأيوان الكبير ثم بعد ذلك فى قاعة الذهب التى أنشأها العزيز بالله ، وجددها المستنصر بالله فيما بعد ، وكان بها عرش الخلافة ، وبها يجلس الخليفة أيام المواسم العامة ، ويجلس للركوب يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وبها كان يقام سباط العيدين ، وسباط رمضان للأمراء ، وكانت تعرف أحيانا بقصر الذهب . وكانت مباحة

الخالص في سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال، ووزن ماحلى به الستر الذي أنشأه سيد الوزراء أبو محمد اليازورى من الذهب أيضاً ثلاثون ألف مثقال، وأنه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه. وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهباً، وعشرين ألف درهم مخزقة، وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه، وأن في الشمسية التي لم تتم من الذهب سبعة عشر ألف مثقال، وإلى جانب العرش يوجد تاج الخليفة أو التاج الشريف، وهو تاج يضعه الخليفة على رأسه في الموكب والأيام العظام، وبه جوهرة عظيمة تعرف بالتيمة زنتها سبعة دراهم، وحوها جواهر أخرى دونها؛ وقضيب الملك، وهو عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب مرصع بالدر والجواهر يحمله الخليفة بيده في المواكب العظام؛ والسيف الخاص، يحمل مع الخليفة في المواكب العظام أيضاً؛ وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة؛ ومنها المظلة التي تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه، وهي قبة فاخرة ملبسة في أنابيب الذهب، وحاملها من أعظم الأمراء؛ والرمح والدواة، والدرقة، والخافر، وهي قطعة من ياقوت أحمر في شكل الهلال تحمل في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب العظيمة؛ ومنها الأعلام والبند والصلاح الخاص الذي يحمله الركابة أو الحرس الملكي.

وقد انتهى بنا وصف بعض المناظر الواقعية التي أحاطت بتولية أحد الخلفاء الفاطميين، وهو الحاكم بأمر الله ولد العزيز بالله، نقلها النا مؤرخ معاصر هو عز الملك المسبحي وزير الحاكم وصديقه ونحن نعرف أن الحاكم بأمر الله تولى الملك حدثاً عقب وفاة والده العزيز في مدينة بلبس في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ. يقول المسبحي: «قال لي الحاكم، وقد جرى ذكر والده العزيز باحتار، استدعاني والدي قبل موته، وعليه الخرق والضماد، فاستدناي إليه وقبلني وضمني إليه وقال: وأغني عليك يا حبيب قلبي ودعمت عيناه. ثم قال امض يا سيدي والعجب، فأنا في عافية

الخليفة الجديد تجرى في حفل عام يرثبه مدير الدولة أو كبير الوزراء أيا كان لقبه، وصاحب الباب أو حاجب الحجاب وهو أكبر رجال القصر، والاسفهلار أو القائد العام للجيش، وذلك بالاتفاق مع قاضي القضاة، وهو في العرف السياسي أعظم رجال الدولة مقاماً ونفوذاً

وكان يتأدى بالخليفة الجديد عقب وفاة سلفه مباشرة؛ ولا فرق في ذلك أن يكون الخليفة الجديد صلياً أو بالغ الرشد؛ ويقع هذا الاجراء الأول بالقصر أو حيث كانت وفاة الخليفة الذهاب، ويتولاه أعظم رجال القصر نفوذاً أوقاضى القضاة ثم يعقبه اجراء البيعة العامة بالأيوان الكبير وهو أيضاً من منشآت العزيز بالله، وجرت فيه بيعة الحاكم بأمر الله فابنه الظاهر لا عز الدين الله، فابنه المستنصر بالله، فابنه المستعلي بالله، فابنه الأمر بأحكام الله. ثم نقل الخليفة الأمر بأحكام الله سرير الملك (العرش الخلافي) من الأيوان الكبير إلى قاعة الذهب، خلعت مكان الأيوان من ذلك الحين في اجراء الرسوم الخلافة العظيمة؛ وكان الاحتفال بالبيعة عاماً يشهده رجال الدولة وأكابر الجند والأعيان وأفراد الشعب، ويبدأ باخذ البيعة للخليفة الجديد قاضى القضاة وأعضاء الاسرة الفاطمية وأكابر رجال الدولة والقصر، ويسلبون عليه بسلام الخلافة وصيغته، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم يقبلون له الأرض؛ وإذا وافق جلوسه يوم عيد، خرج الخليفة في موكبه إلى الصلاة، كما حدث عند تولية الظاهر لا عز الدين الله حيث وافق جلوسه يوم النحر (عيد الأضحى) فأخذت له البيعة، ثم خرج إلى صلاة العيد، وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر، وصلى بالناس، ثم عاد إلى القصر، فكتب بخلافته إلى سائر الأنحاء.

وكان للعرش الفاطمي عدة من الذخائر والآلات الملوكية كانت آية في الفخامة والبهاء والبخ، من ذلك سرير الملك، أو العرش الذي يجلس عليه الخليفة يوم توليه الملك، ثم بعد ذلك أيام المراكب والاستقبالات الرسمية. ويقول مؤرخ معاصر في وصفه: «إن وزن ما استعمل من الذهب الأبريز

## دموع الحب

للاستاذ يوسف البعني

لَتَدْنُقَ رحيق الفن ، وتسلل إلى سراديبه الرهيبية  
وتعاق غوانيه المعطرة .. يجب أن تقرأ - بول فاليري -  
فقصيدة واحدة من هذا الشاعر العبقري المجدد حياة فنية  
منفردة لها ألوانها وخطوطها وأصباغها . جملة صغيرة من  
ريشة بول فاليري تعطيك معنى ألد من تغريدة البلبل ،  
وأطرب من أنغام الرباب . وأعذب من الأحلام .. أما  
الحياة التي تلمسها في سطورهِ وصورهِ فتبكي وتفرح ، تشكو  
وتبتسم . تغرد للصباح الضاحك ، وتكتب للساء الحزين ؛  
حياة ككل حياة ، لكنها تختلف برموزها وأسرارها . وهذه  
الرموز والأسرار هي عبقرية الشاعر العظيم والفنان الملهم ؛  
هي كائنه الحى الأعلى ؛ هي روحه التي غاصت في البحر  
فالتقطت درره ، وتغلقلت في الليل فاتشحت بأزاره . وفي  
القلوب فاجتنت ميولها وعواطفها وشهواتها .

لقد قرأت أكثر مؤلفاته فتبينت فيها الفن المنجح الذي  
يفتح عينيك على صور موشاة بجميع ألوان الحياة وأدهنتها  
الرائعة . وما إن تحديق قليلا بسطر من سطورهِ حتى تتولاك  
رحاب الشاعرية ؛ هي غيبوبة بعيدة القرار يشملك بها الشاعر  
الفنان فيريك بهجة الريح واخضراره ، ويسمعهك عويل  
الحريف وشكواه . وإن شاعراً يغمرك بكل ماتشقاته الروح  
ويحلم به القلب ليعرف من الحياة غير أسمائها ، ويقرأ من  
الكلمات أكثر من حروفها ، ويبصر في مشاهد الأعراس  
والمآتم غير ما يبصره الناس !

\*\*\*

ومن أروع ما طالعتهُ أخيراً لهذا الشاعر الساحر رسالة  
دعاه - دموع الحب - قرأتها بروح نَهْمَةٍ تريد أن تفهم  
معاني الحياة وتكشف أسرار الجمال فإذا هي قطعة فنية

قال ، فضيت ، والتهيت بما يلهي به الصبيان من اللعب إلى أن  
نقل الله سبحانه وتعالى العزيز إليه ، قال فبادر إلى برجوان ، وأنا  
في أعلى جميذة كانت في الدار ، فقال : انزل ، ويحكم الله فينا  
وفيك ، قال فنزلت ، فوضع العمامة بالجواهر على رأسي وقبل  
لى الأرض ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله  
وبركاته . قال ، وأخرجني حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة ،  
فقبل جميعهم لى الأرض وسلخوا على بالخلافة ، وقع هذا المنظر  
بمدينة بليس في ٢٨ رمضان ، وفي اليوم التالي سار الحاكم إلى  
عاصمة ملكه في موكب رهيب نفخ وأمامه جثة أبيه ، وبين  
يديه البنود والرايات ؛ وقد ارتدى دراعة مصمتة ، وعمامة  
يكلها الجواهر ، وتقلد السيف ويده رمح فدخل القاهرة عند  
مغيب الشمس ؛ وفي الحال أخذ في تجهيز أبيه ، ودفن عشاء  
بالقصر . وفي صباح اليوم التالي ، بكر سائر رجال الدولة  
إلى القصر ، وقد نصب للخليفة الصبي في الايوان الكبير ،  
سزير من الذهب عليه مرتبة مذهبة ، وخرج من القصر إلى  
الايوان راكباً وعلى رأسه معمة الجواهر والناس وقوف  
في صحن الايوان ، فقبلوا الأرض ومشوا بين يديه حتى جلس  
على عرشه ، وسلم عليه الجميع بالامامة ونودي في القاهرة والبلدان  
أن الأمن موطن والنظام مستتب فلا مؤنة ولا كلفة ، ولا  
خوف على النفس أو المال

هذه لمحة من الرسوم والتقاليد التي كانت تجري عليها الدولة  
الفاطمية في تولية خلفائها ، وهي رسوم ملوكية عريقة يطبعها  
لون من البذخ الساحر . وقد كانت الدولة الفاطمية ، وهي أولى  
الدول الإسلامية المستقلة بمصر ، دولة البذخ والبهاء ، وكانت  
رسومها وتقاليدها فيما بعد مستقى خصا للدولة الإسلامية التي  
تعاقبت من بعدها في عرش مصر (١)

محمد عبد الله عنانه

(١) رجعنا في هذا البحث إلى خطط المقرئى ، وصبح الاعنق للقلندى  
وحسن الماضرة للسيوطى ، والنجوم الزاهرة لابن تترى بردى ، وابن  
خلكان . الخ